الخلائق كل ذلك صنعته تبارك وتعالى في هواء مجرد خارج من باطن الانسان الى ظاهره في مجار قد هيئت واعدت لتقطيعه وتفصيله ثم تاليفه وتوصيله فتبارك الله رب العالمين واحسن الخالقين فهذا شأن الحرف المخلوق واما الحرف الذي يكون به المخلوقات فشأنه اعلا واجل واذا كان هذا شأن الحرف فحقيق ان تفتتح بها السور كما افتتحت الاقسام لما فيها من ايات الربوبية وادلة الوحدانية فهي دالة على كمال قدرته سبحانه وكمال علمه وكمال حكمته وكمال رحمته وعنايته بخلقه ولطفه واحسانه واذا اعطيت الاستدلال بها حقه استدلت بها على المبدا والمعاد والخلق والامر والتوحيد والرسالة فهي من اظهر ادلة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان القران كلام الله تكلم به حقا وانزله على رسوله وحيا وبلغه كما اوحي اليه صدقا ولا تهمل الفكرة في كل سورة افتتحت بهذه الحروف واشتمالها على ايات هذه المطالب وتقريرها وبالله التوفيق

فصل

ثم اقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون فاقسم بالكتاب والقلم وهو القلم الذي هو احدى اياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد فاطدت به الممالك وامنت به السبل والمسالك واقام في الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعه لهم وانصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبري باذن باريه من انواع الالم يكسر العساكر العظيمة على انه الضعيف الوحيد ويخاف سطوته وباسه ذو الباس الشديد وبالاقلام تدبير الاقاليم وتساس الممالك والقلم لسان الضمير يناجيه بما استتر عن الاسماع فينسج حلل المعاني في الطرس

فتعود

فتعود احسن من الوشي المرقوم ويودعها حكمه فتصير بوارد الفهوم والاقلام نظام للافهام وكما ان اللسان بريد القلب فالقلم بريد اللسان ويولد الحروف المسموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم والقلم بريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت

فصل

والاقلام متفاوتة في الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة واختلف العلماء هل القلم اول المخلوقات او العرش على قولين ذكرهما الحافظ ابو العلا الهمداني اصحهما ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام وعرشه على الماء فهذا صريح ان التقدير وقع قبل خلق العرش والتقدير وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة هذا ولا يخلو قوله ان اول ما خلق الله القلم الى اخره اما ان يكون جملة او جملتين فان كان جملة وهو الصحيح كان معناه انه عند اول خلقه قال له اكتب كما في اللفظ اول ما خلق الله القلم قال له اكتب بنصب اول والقلم فان كان جملتين وهو مروي برفع اول والقلم فيتعين حمله على انه اول المخلوقات من هذا العالم ليتفق الحديثان اذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في ان العرش سابق على التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم وفي اللفظ الاخر لما خلق الله القلم قال له اكتب فهذا القلم اول الاقلام وافضلها واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي اقسم الله به

Copyright © King Saud University